الحضور اللغوي في التصنيف المنطقي عند "أرسطو"

The linguistic presence in the logical classification of "Aristotle"

دليل محمد بوزيان – جامعة تلمسان (الجزائر)

Dellilbouziane@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/29 تاريخ القبول: 2023/02/20 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص:

اللغة لا تنتظم ولا تُؤدي وظيفتها عند "أرسطو"، إلا من خلال تركيب لغوي يساعد في تنظيم الألفاظ في عبارات وجمل، تعبر بصدق عن معاني لها مغزى. وقد دفعت الأزمة التي كانت تعيشها اللغة (اليونانية خاصة)، على مستوى البنية التركيبية (أزمة التعقيد النحوي خاصة)، هو أبرز العوامل التي مهّدت لبروز علاقة اللغة بالمنطق، وبالذات اللفظ بالمعنى عند "أرسطو". وهذا ما لمسناه في موسوعته المنطقية، الموسومة بـ "الأورغانون"، والتي خصّ بها هذه العلاقة في كتابي "المقولات" والعبارة. فمهمة "أرسطو" الأولى، و في اعتقادنا كانت تتمثل في التأصيل المنطقي للغة، وهذا من خلال ضبط التصورات والحدود (الألفاظ)، و صياغة الأحكام والقضايا، في صورة عبارات خالية من التناقض والطرح الميتافيزيقي القابل للتأويل، وإعطائها بعدا منطقياً مضبوطاً ومحدداً، وهذا ما سنحاول الكشف عنه عبر هذه المقالة.

كلمات مفتاحية: اللغة، المنطق، اللفظ، المعنى، المقولات، العبارة، النحو.

Abstract:

Language is not organized and does not perform its function according to Aristotle, except through a linguistic structure that helps organize words into phrases and sentences that genuinely express meaningful meanings. And the crisis that the language was experiencing (Greek in particular), at the level

of the syntactic structure (the crisis of grammatical complexity in particular), prompted the most prominent factors that paved the way for the emergence of the language's relationship with logic, and in particular the pronunciation in meaning according to "Aristotle". And this is what we have seen in his logical encyclopedia, marked by: "The Organon", and in which he singled out this relationship in my books "Categories" and "The phrase." Aristotle's first task, and in our belief, was represented in the logical rooting of the language, and this is through adjusting Perceptions and limits (words), and the formulation of judgments and issues, in the form of phrases free from contradiction and metaphysical subtraction that may be interpreted, and giving them a precise and specific logical dimension. This is what we will try to reveal through this article.

Keywords: Language, Logic, Pronunciation, Meaning, Categories, Phrase, Syntax.

1. مقدمة

يرى الكثير من الدارسين في الحقل الفيلولوجي أنه من غير الممكن الخوض في الحديث عن إشكالية العلاقة بين اللفظ و المعنى من زاوية منطقية، دون توظيف وجهة نظر المنطق الأرسطي منها، حيث برز الدور الحاسم للغة اليونانية وقواعدها في تشكيل التصنيفات المنطقية الأرسطية، نلمس هذا الميل لدراسة هذه العلاقة في صورتها المنطقية واللغوية عند "أرسطو" من خلال أهم مؤلفاته المنطقية: "المقولات أو Catégories" و"العبارة أو Pare-Armenias". كما سنكشف في هذا العرض التحليلي على أنّ المنطق الأرسطي في أصوله، منطق لغوي. يظهر هذا جلياً في "منطق التصورات" و القضايا، و الذي تجلّت فيهما بعمق الصلة بين المنطق واللغة، والتي رجع إليها "أرسطو" في تأسيسه لمفاهيم علم المنطق.

الحضور اللغوي في التصنيف المنطقي عند أرسطو

إنّ الحضور اللغوي في المنطق الأرسطي، يظهر من خلال الدراسات التي قام بها "أرسطو" حول الخطابات السفسطائية، و التي ميّزها طابع التلاعب بمعاني الألفاظ، حيث أكد على أنّ اللغة لا تنتظم و لا تُؤدي وظيفتها إلاّ من خلال تركيب لغوي يساعد على تنظيم الألفاظ في عبارات و جُمَلٍ لِيُعبّر عن معاني لها مغزى، و منه ظهرت فكرة علاقة الألفاظ بالمعاني. كما سنؤكّد عبر هذه الدراسة على الأهمية والدور الذي لعبته اللغة اليونانية في ميلاد المنطق الأرسطي الذي هو بمثابة نحو لها. لنوضّح في الأخير، وجهة نظر "أرسطو" حول طبيعة العلاقة التي تربط "اللفظ بالمعنى" من جانبها المنطقي، حيث سنعمل على تحليل و قراءة تلك النصوص الأرسطية الدالة على تلك العلاقة، و النابعة من مصادره الأصلية، ككتاب "المقولات" و "العبارة"، مُبرزين حقيقة الموقف الأرسطي من الصلّة بينهما.

2. مدخل لدراسات "أرسطو" المنطقية:

يجدر بنا قبل أن نعرض مضامين المنطق الأرسطي، أن نعرض وجهة نظر "أرسطو" حول مفهوم المنطق ومكانته وسط العلوم والمعارف، و كيف تمّ تصنيفه؟ و هل اعتبره علم من العلوم أم موضوع من موضوعات الفلسفة؟ وما هي الأسس التي تمّ من خلالها تصنيف و ترتيب كتبه المنطقية؟ ثمّ نأتي في ختام هذا المطلب إلى الحديث عن المباحث أو المحاور الكبرى للمنطق الأرسطي و المواضيع التي يطرحها و يُعالجها.

1.2 مفهوم المنطق عند "أرسطو":

إنّ المنطق بدأ فعليا كعلم قائم بذاته مع "أرسطو"، و نقصد هنا المنطق الصوري، الشكلي، فما ماهية المنطق عند أرسطو؟ لقد سبّاه عندنا بالتحليل، أو العلم التحليلي و يعني عنده: علم التفكير الصحيح أو علم قوانين الفكر الذي يميّز بين الصحيح و الفاسد من أفعال العقل، فالمنطق - حسبه - آلة العلوم، لأنّ كلّ

العلوم طبيعية كانت أو رياضية أو اجتماعية، تَسْتَخْدِم قواعده و تحتاج إليه في حين أنه لا يحتاج هو إليها. موضوعه صورة العلم لا مادته. (فضل الله، 1990).
إذن لفظ "منطق" لم يرد في "الأورغانون"، و إنما استعمل "أرسطو" لفظ "التحليلات" تارة، و لفظ "العِلْم التحليلي" تارة أخرى. "فأرسطو" هو أول من هدَّب قواعد المنطق و رتَّب مسائله و فُصِّله (جميل، 1994)، -، فهو (أي المنطق) من وجهة نظر "أرسطو"، يتمثل في النظر إلى التصورات و القضايا و القياسات من حيث صُورتها لا من حيث مادتها، فالمنطق إذن هو كناية عن مجموعة القواعد و المبادئ والقوانين التي تَعْصِم مُراعاتها الفكر أو العقل من الوقوع في الخطأ أو الزلل، و لعلَّ أبرز خِدْمَة يُقَدِّمُها المنطق إلى العامَّة و الخاصَّة من النَّاس هو إرشادهم إلى التَّخَرِّي الدقيق عن الحقيقة و الوسائل و الطرق المؤدِّية إليها، و معرفة الذين يتلاعبون بالألفاظ و معانيها و يستهينون بعقول النَّاس، و تبقى مُهمَّة المنطق الأولى عند "أرسطو"، هي ضبط قواعد الفكر و تمييز الصحيح من الفاسد. فكيف تمَّ تصنيف نظريات "أرسطو" المنطقية؟ وما موقعها من المعرفة الإنسانية؟

2.2 تصنيف المنطق عند "أرسطو":

كما هو معروف حسب العديد من الدراسات المختصة في التأريخ للمنطق الأرسطي، أنّ "أرسطو" لم يصنّف مؤلفاً بعينه يحمل عنوان "المنطق"، و لكنّه كتب هنا و هناك، و في مواضع متعددة و مختلفة من كتاباته أدلى بإشارات و آراء منطقية معيّنة. كما أنّ "أرسطو" لم يُصنّف كتاباته في ترتيب معيّن بحيث تنتظم في سياقها التاريخي أو الموضوعي. و فيما بعد وفاة "أرسطو"، أصبحت تلك المسألة من أهم المشكلات التي واجهت أتباعه (ماهر عبدالقادر، صفحة 14، 13).- لقد كان يُسبِّب "الأرغانون" القانون، و كان يرى أنّه ينبغي امتلاك الأداة قبل أن نشرع في البناء. و هو يقصدُ بالبناء هنا أي بحث فلسفي، و لكي نُعلِّي البناء لا بدّ من التَّمكُّن من الأداة التي بقَصْطها يقوم التَّفَلُّسُف. ولا شكّ في أن المنطق عمادُ الفلسفة و جوهر الميتافيزيقا،

الحضور اللغوي في التصنيف المنطقي عند أرسطو

بل ربّما يَصِحُّ القول أنّه هو هيكل كلّ فلسفة، لأنّ الفلسفة في النهاية برأي البعض ليست سوى نسقٍ من القضايا المنطقية- (فضل الله، 1990، صفحة 25).

لقد صارَ من البديهي القول بأنّ المنطق هو الفكر، وهذا ما استلزم وجود مبادئ و أسس يسير بمقتضاها الفكر الإنساني، لتُصبح تلك المبادئ بمثابة قوانين بديهية، تُسيّر عمليات الفكر المنطقي. وعندما حاول "أرسطو" صياغة منطجه صياغة نسقية، ووضَعَ لِتلك الصياغة مبادئ ضرورية للعقل، حصّرها في ثلاث قوانين جوهرية: الأول سمّاه: قانون الذاتية أو الهوية، حيث يكون فيه الموضوع ثابتاً أمّا المحمولات تتغيّر، فهو يؤكّد ذاتية الموضوع و ليس ذاتية المحمولات كما يقول "كينز". أمّا المبدأ الثاني فهو قانون عدم التناقض، و الذي عبّر عنه "أرسطو" بأنّه من المُمتنع حمل صفة و عدَمَ حملها على موضوع واحد في نفس الوقت و بنفس المعنى.

أمّا القانون الثالث فهو قانون الوسط المرفوع أو الثالث المرفوع، وقد جاء ليفسّر القانونين السابقين و لكن بصورة شرطية: (أ) إمّا أن يكون (أ) أو لا يكون، و لا وسط بينهما، فالنقيضين لا يجتمعان معاً، بل يلزم أن يكون أحدهما صادقا و الآخر كاذبا. و بما أنّ هذه المبادئ بمثابة قوانين عامّة للفكر، فإنّ هذا ما شكّل عائقاً أمام الدارسين للمنطق من حيث تصنيفه و مكانته، و لهذا كان لأبَد من التطرق إلى أقسام العلوم عند "أرسطو"، إذ صتّفها إلى ثلاث أقسام رئيسية هي (ماهر عبد القادر، د(ط،ت)، صفحة 14، 15):

أولاً: العلوم النظرية: و تشتمل على ثلاث علوم هي: الميتافيزيقا (ما بعد الطبيعة)، الرياضيات (Mathématiques)، و الفيزياء (Physics).

ثانياً: العلوم العملية، و تشتمل على ثلاث علوم أيضاً هي: على التوالي الأخلاق (Ethics) و السياسة (Politics)، و الاقتصاد أو تدابير المنزل (Economy).

ثالثاً: العلوم الشعريّة: و تشمل ثلاثة علوم هي الموسيقى (Music)، والشعر (Poetry)، و فن العمارة (Architecture).

إنّ ما نلاحظه على تصنيف "أرسطو" للعلوم، أنّه لم يُحدّد مكاناً أو موضوَعاً بعينه للمنطق، بمعنى أنّ المنطق لا يندرج تحت أي من هذه الأقسام الثلاث من العلوم، ممّا استرعى انتباه المؤرخين و الدارسين قديماً و حديثاً، يقول "إيميل بوترو" في هذا الشأن: «لم يذكر المنطق في هذا التصنيف، ربّما لأنّ التصنيف يهتمّ بالعلوم التي تشير إلى الواقع، بينما المنطق يشير إلى تصورات فحسب.» (Boutroux, 1897)

ما نفهمهُ إذن من مقولة "بوترو" هذه، هو أنّ "أرسطو" أراد التمييز بين هذا العلم (المنطق)، و بقية العلوم الأخرى، حيث أنّ الأول تصوّراته كُليّة و لا تتصل بالواقع، عكس الثانية التي تصوّر نتائجها عن مقدمات جزئية، و منه فالمنطق لا يحتاج لأي علم من هذه العلوم، لأنّه يستند في تأسيسه على تصورات كُليّة. و هذا ما جعل بعض المناطقة ينظرون إليه باعتباره المدخل لكلّ العلوم، و أنّ "أرسطو" نفسه، أراد للمنطق أن يكون علماً استنباطياً، نابعا من طبيعة المنطق ذاته. - (ماهر عبد القادر، د(ط،ت)، صفحة 17، 18) و منه يتّضح لنا أنّ المنطق الأرسطي هو علم قائم بذاته، لكنّه و في نفس الوقت علم كلّ العلوم، و لذا لا يمكن تصنيفه كواحد منها، فهو خادم لها و رئيس لها - بلغة الفلاسفة و المناطقة المسلمين - فهو يحقّ آلة قانونية تعصم مُراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، - فهو علم عملي آلي، كما أنّ الحكمة علم نظري غير آلي، فالآلة بمنزلة الجنس. و القانونية: تُخرج الآلات الجزئية لأرباب الصنائع، و قوله: تعصم مُراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر بل في المقال، كالعلوم العربيّة- (الجرجاني، 2006). "فأرسطو" إذن، حاول تبويب إنتاجه و تقسيم الفلسفة و موضوعاتها إلى أقسام و فروع، فهو في مَوْضع واحد من كتاب "الجدل"، يُقسّم الفلسفة و موضوعاتها إلى مشاكل أخلاقية و طبيعية و منطقية. و يُلاحظ أنّ

الحضور اللغوي في التصنيف المنطقي عند أرسطو

هذا التقسيم لم يرد في أي نص آخر "لأرسطو". وقد تعارف شراح منطق "أرسطو"، مثل "الإسكندر الأفروديسي" و"أمونيوس" و"سمبليكيوس" و"فيليبون"، على تقسيم الفلسفة إلى قسمين: علم نظري وهو الذي يهدف إلى غاية هي الحقيقة لذاتها، وعلم عملي يستهدف أصلا المنفعة العملية- (أبو ريان، 1976). وهكذا يتجلى لنا طبيعة التصنيف الأرسطي للمنطق الصوري.

3.2 مباحث المنطق الأرسطي :

إن الحديث عن هذه المباحث هو الحديث عن تصنيفات كتب "أرسطو" المنطقية، والتي جمعت و اندرجت تحت عنوان واحد هو الأركانون (ORGANON). فلما كان موضوع المنطق أفعال العقل، ولما كانت أفعال العقل ثلاثة: التصور، الأقوال أو القضايا، والاستدلال. فقد قسم "أرسطو" المنطق إلى ثلاث أقسام (فضل الله، 1990، صفحة 28، 27):

أ. منطق التصورات: و خصّ به كتاب "المقولات"، حيث يبحث في الألفاظ ودلالاتها وتقابلها وعلاقاتها بعضها ببعض، أي يبحث في كيفية تعرف العقل على العالم الخارجي بواسطة المقولات العشر.

ب. منطق التصديقات: و خصّ به كتاب "العبارة" أي "باري أرمينياس" و يبحث في الأقوال المؤلفة أي في كيفية التعبير عن المقولات.

ج. منطق الاستدلالات: و هو يدرس مختلف أنواع الأقيسة، و هي على ثلاث أنواع، حسب التصنيف الأرسطي: "الاستدلال البرهاني" و يقوم على مبادئ يقينية لا تقبل الشك، "الاستدلال الجدلي" و يقوم على مقدمات ظنّية احتمالية، "الاستدلال السفسطائي" و هو الذي يقوم على مقدمات كاذبة أو مزيفة. و هذا ما تناوله "أرسطو" في مؤلفه " التحليلات الأولى"، و منه وضع أرسطو ثلاث كتب أخرى: "التحليلات الثانية" أو ما سمّاه أنالوطيقا الثانية، أي القياس الثاني، و يبحث في الشروط التي يجب توفرها في البرهان. ثم يأتي كتاب "الجدل" أو "الطوبيقا" و فيه

يُبيّن "أرسطو" القوانين التي بها تستقيم صناعة الجدل. أمّا الكتاب السادس ، فهو كتاب "الأغاليط" أو "السوفسطيقا"، و قد وضعه "أرسطو" ليُعصم به العقل عن محاولات إفساد المنطق، فهو يعني بكشف البرهان المُموّه-. (الجرجاني، 2006، صفحة 28، 29)

هذا ما يراه معظم المؤرخين للمنطق، و الذين يُحصّون الأركانون الأرسطي في هذه الكتب الستّة. إلّا أنّ البعض من الدارسين لتراثية و تاريخية الفكر المنطقي، يُضيفون لهذه السلسلة كتابين إثنيين هما: الخِطابة (ريطوريقا)، و كتاب الشعر(فيوطيقا)، و هذا حسب ما أشار إليه "الفارابي"، و نقله عنه "ابن أبي أصيبعة" في كتاب: "عيون الأنباء في طبقات الأطباء".

3. أهمية اللغة في علاقتها بالمنطق عند "أرسطو":

يدرس المنطق صيغ التفكير الصحيح و قوانينه، و التفكير يرتبط باللغة ارتباطا لا ينفك. فاللغة على حدّ تعبير ماركس، هي الواقع المباشر للفكر- (غيتمانوفا، 1989، صفحة 27)، فاللغة وسيلة للتفاهم بين النّاس في المجالين العلمي و العملي، و تساعد في نقل المعارف والمدركات و الخبرات الحياتية من جيل إلى جيل لاحق. إنّ اللغة ظاهرة سيكولوجية واجتماعية ثقافية مكتسبة. فباللغة صار الإنسان إنسانا، و باللغة فقط تطورت الحضارة و تقدّم العُمران و بلغ العقل الإنساني ذروته، هذا ما يعكسُ عموماً قيمة اللغة بالنسبة للإنسان عامّةً، لكن جَوْهَرُ قَضِيَّتِنَا هُنَا ينحصرُ حول المكانة التي خصّها "أرسطو" للغة، و أصل تلك العلاقة بين المنطق و اللغة عنده:

1.3 مكانة اللغة عند "أرسطو":

لتحديد هذه الأهمية التي خصّها "أرسطو" للغة، ينبغي الإلمام بجميع أفكاره اللغوية، و هذا لا يتسنى لنا إلّا من خلال الإطلاع على جميع نُصُوصِه المُتَنَاطِرَة في أعماله المنطقية، و نَحْصُ بالذكر كتاب "المقولات" و "العبارة"، إضافة إلى

الحضور اللغوي في التصنيف المنطقي عند أرسطو

"الخطابة" و"الشعر"، و بعض الموضوعات الأخرى في النفس، و السياسة و علم الأخلاق، حيث تردُّ آراءه بشكل عَرَضِي و في سياقات مختلفة، و هذا ما يجعل من الصعوبة بمكان، التعرف بالتدقيق على المفهوم الأرسطي للغة.-(بغورة زواوي، 2001، صفحة 43)

أما من حيث المكانة التي خصَّها "أرسطو" للغة، فلا يمكننا أن نُشَكِّكَ في مرتبتها في فِكْرِهِ الفلسفي عامّة و منطِقِهِ خاصّة. فَجُلُّ أعماله المنطقية و الطبيعية و الميتافيزيقية و حتّى السياسية منها و الأخلاقية، لا تخلو من الحديث عن اللغة و فنون الخطابة، حيث يَدْفَعُنَا هذا إلى التنويه ببعض المَنَاجِي التاريخية المُتَّصِلَة بمكانة و مفهوم اللغة عند "أرسطو"، و ما قام بِهِ مِنْ إضافة إلى أبحاث أستاذه "أفلاطون" في هذا السياق، و الذي أكَدَّتْهَا الكثير من الأبحاث في هذا السياق، ففي مقولة للدكتور "كمال يوسف الحاج" في كتابه " في فلسفة اللغة" يُؤكِّد فيها هذه الفكرة قائلاً: «إنَّ لِحُدُودِ علم اللغة الأرسطي، حدود واضحة تماماً، و يمكن النظر إلى ما قام به أرسطو على أَنَّهُ تطوير متميِّز للافتراضات التي توصل إليها أفلاطون» (يوسف الحاج، 1967)، و في رأينا ما يدلُّ على ذلك التأثير، هو منطِق التصورات الأرسطي، و الذي اهتَمَّ بالألفاظ و دلالاتها على المعاني. أمّا من جهة تاريخية فينبغي العودة إلى الوضعية التي احتلتها اللغة في زمن أرسطو، خاصّة السياسية في حضرة حُكْم "الإسكندر المقدوني". حيث أصبحت اللغة اليونانية في عهده لغة الإدارة و المِهْن و الرُقِّي الاجتماعي.-(بغورة زواوي، 2001، صفحة 44)

لقد أصبحت اللغة اليونانية في هذه الفترة من الحُكْم، لغة الحضارة و الحِكْمَة. هذه الوضعية الغير مألوفة، دفعت "أرسطو"، إلى التفكير في اللغة تفكيراً جَدِيًّا، اضطرَّه إلى الإبداع في مجالات عدّة، أبرزها اللغة و القواعد التي تحكمها فتحوّلت إلى علم قائم بذاته (النحو). كما أصبح «تعليم اللغة اليونانية لغير اليونانيين، نشاطاً واسع الانتشار، له أساليبه و متطلباته، و كان هذا جزءاً من

العملية التي عرفت بوصفها عملية الهلينة، و قد أُطلق "العصر الهليني" على الفترة التي تلت الفتوحات المقدونية» (بغورة زواوي، 2001، صفحة 41).

إنّ التدليل على أهمية اللغة عامّة و اللغة اليونانية خاصّة، يكمن في ارتباطها الوثيق بالعلم المنطقي، فلقد طرح "أرسطو" النموذج اللغوي اليوناني من خلال نصوصه المنطقية الموسومة في كتابين، عبّرًا بصدق عن تلك الأهمية هما: كِتَابِي "المقولات" (قاطيغورياس)، و "العبارة" (باري أرمنياس)، حيث برزت العديد من التعليقات التي تناولتهما بالشرح و التحليل. فلقد سبق "لابن باجة" و أن علّق على كتاب العبارة، بفكرة في غاية الأهمية والدلالة، تتصلّ اتصالا مباشرا بالموضوع الذي نحاول تحليله مبيّنا علاقة كتاب العبارة بكتاب المقولات و الغاية منه.

يقول "ابن باجة" في تعليقه على كتاب العبارة الذي لخصّه "الفارابي": « و لمّا أعطانا في كتاب المقولات مبادئ الفكر، فقد قصّد في هذا الكتاب إلى أن يُعرّفنا كيف نُفكّر بها، و لمّا كانت الفكرة بها لا تكون إلّا بقضايا، و كانت القضايا أقوالا، و كانت الأقوال مركّبة من ألفاظ، و جَبّ أن يتكلّم أولا في الألفاظ المفردة، فعَرّفنا ما هي، وكم أجناسها، أعطى في كلّ واحد منها ما يتميّز به من جهة الدلالة، ثمّ أنّه ذكر الأحوال التي تلحقها من الميل والاستقامة و غير ذلك.» (ابن رشد، 1978)

هذا النّص الأرسطي الوارد في كتاب "العبارة"، يعكس طبيعة المشكلات اللغوية التي طرحت بهدف التّأصيل المنطقي لها، و تبيان العلاقة الحقيقية التي تربط الألفاظ بالمعاني و التي تجاهلتها المدارس الخطابية قبل "أرسطو"، إضافة إلى رفع اللبس عن كلّ ما له صلة باللغة، كالكتابة و الخطابة مثلا. و من هنا نستنتج أنّ موقف "أرسطو" من اللغة هو موقف التواطؤ والاتفاق والاصطلاح، لا موقف الوَقْف والطبيعة و الضرورة.- (بغورة زواوي، 2001، صفحة 46)

2.3 اللغة وعلاقتها بالتصنيفات المنطقية عند "أرسطو":

الحضور اللغوي في التصنيف المنطقي عند أرسطو

في هذا الشأن يرى "بنفينست" أنّ "أرسطو" قد استفاد كثيرا من دراسة اللغة اليونانية، لأنّ تحليل المقولات الأرسطية مستوحى من البنية الخاصّة للغة اليونانية، و لكن "أرسطو" لم يُوظّف كلّ ما هو موجود في اللغة اليونانية، و إنّما انتقى بعض الجوانب لأغراض خاصّة، لأنّ ما كان يشغل فكر "أرسطو" ليس النّحو و إنّما المعايير المنطقية و الأنطولوجية، بالرغم من وجود فكرة كانت متداولة في تاريخ الفلسفة والمنطق على السواء، وهي أنّه ما دامت مقولات "أرسطو" هي مقولات اللغة اليونانية و أنّ مقولات الفكر هي مقولات اللغة فإنّه بالنتيجة ستكون خاصّة باليونان فقط- (بغورة زواوي، 2001، صفحة 52)

هكذا يتبيّن لنا أنّ نظرية المقولات الأرسطية، باعتبارها أطر عامّة يمكن الاعتماد عليها في تحديد ماهية الأشياء. و لهذا فقد بدأ "أرسطو" منطقته، بإصلاح مخلفات الاتجاه الأفلاطوني الجدلي من خلال تحليله للعناصر الأولية للكلام، فرأى أنّ الألفاظ والتصورات هي مادته الأولية، حيث بذل "أرسطو" مجهودا كبيرا في إحصاء الألفاظ المستخدمة في المناقشة و تحديد معانيها، و يبدو هذا العمل واضحا في كتاب المقولات، و في مقالة الدال من كتاب الميتافيزيقا-. (أبو ريّان، صفحة 38)

لكن ما يعكس أكثر العلاقة الوثيقة التي تربط اللغة بالتصنيفات المنطقية الأرسطية، هو مبحث التصورات والحدود، و الذي اعتبره بعض الدارسين، من أخصب أبحاث المنطق الصوري. فمثلا التصور باعتباره يعبر عن إحساسات، يتمّ التعبير عنه من خلال إطار لغوي معيّن، و بهذا يتّصل مبحث التصورات اتصالا وثيقا باللغة وتقسيماتها-. (ماهر عبدالقادر، صفحة 23) يتجلى لنا ذلك بوضوح، حين نتعرض فيه للجزء الخاص بمبحث الألفاظ المفردة والمركبة، حيث تتداخل فيه الدراسات المنطقية مع قواعد النحو، فالنحو الذي هو علم قوانين اللغة، يتّفق مع المنطق في النظر إلى الألفاظ من حيث التقسيم. (ماهر عبدالقادر، صفحة

(24) (أي قِسمة الألفاظ قِسمة ثنائية)، كما يوجد كتاب آخر لأرسطو تناول فيه هذه المسألة، هو كتاب "الخطابة"*، أو ما سمّاه البعض بكتاب "البلاغة". حيث تُعدُّ الخطابة طريقة في تفكير اللغة، و ما يدلُّ على عِراقة هذه العلاقة، هو أنّ هذا المُؤلف الأرسطي ما زال إلى حدِّ الآن مرجعا أساسيا، في كلّ تفكير لُغوي. و نظرا لأهمية اللفظ لِمَا له من علاقة مباشرة بمفهوم اللغة ومكانتها عند "أرسطو"، نتساءل: ما العلاقة التي تربط اللفظ بالخطابة عنده؟

لعلَّ أفضل إجابة في هذا السياق، هي ما يراه "أرسطو" نفسه حيث يقول في نصِّ له: « إنّ القول في أحوال الألفاظ التي تكون بها أتمَّ إبانة عن المعاني و أجود تفهيمًا لها هو ضروري في المخاطبة البرهانية، فضلا عن الأقاويل البلاغية والشعرية و ذلك من جهة استعمالها في المخاطبة البرهانية إنّما هو لأن يكون بذلك حصول البرهان أيسر وأسهل و أوضح، مثل ما يقال أنّه ينبغي أن تكون الألفاظ المستعملة فيه متواطئة غير مشتركة، مشهورة عند الجمهور، أو عند أهل تلك الصناعة التي يستعمل فيها ذلك البرهان، و إن كانت مشتركة و تقسّم جميع المعاني التي يقال عليها ذلك الألسن المشترك و يبرهن على كلّ معنى من تلك المعاني على حدِّا، لأنّ الألفاظ في ذلك مَعونة في زيادة التصديق الحاصل عن البرهان و قوَّته كالحال في الصنائع الأخرى فإنَّها يلقي لها معونة في إيقاع التصديق المستعمل فيها و إن كانت في ذلك تختلف.- (ابن رشد، 1978، صفحة 253)

خلاصة هذا القول، أنّ من نتائج خصائص مفهوم اللغة عند أرسطو ما يلي:

- تتمتع اللغة بمكانة فريدة عند "أرسطو".

- هناك شبه اتفاق بين الدارسين لفِكر و فلسفة "أرسطو"، حول تحديد موقفه من أصل اللغة، و هُوَ الموقف القائل بالاصطلاح و الاتفاق و التواطؤ لا بالوقف والضرورة و الطبيعة.

الحضور اللغوي في التصنيف المنطقي عند أرسطو

- لقد أشار "أفلاطون" ثم من بعده "أرسطو"، إشارات مُتفرقة إلى القواعد النحوية للغة اليونانية، حيث يُعتبر "أفلاطون" أوّل من أخذ المسألة بنوع من الجّد. حيث قَسَم في مُحاوراته التي اشتهر بها، الجملة في اللغة اليونانية إلى قسمين: الاسم والفعل، أمّا "أرسطو" فقد حلّلها تحليلًا ثلاثيًا، حيث أضاف ما يُعرف بالروابط أو الضمائر. رُبّما قصد به، تمييز مُكونات العبارة الخَبَرية التي كان "أرسطو" أكثر انشغالًا بها بوصفه منطقيًا.-(بغورة زاوي، 2001، صفحة 58)

- الإنسان عند "أرسطو"، حيوان يمتلك اللغة، فهي جوهر كل نوع إنساني، اجتماعي، وسياسي.

- إنّ إشكالية العلاقة بين المنطق و اللغة، من القضايا الأساسية التي تناولتها النصوص الأرسطية، و المطروحة خاصّة في مؤلفاته المنطقية، "كالعبارة" و"المقولات" و"الخطابة" و"الشعر"، والتي مازالت قيد دراسة في كلّ تفكير علمي وفلسفي إلى اليوم، كمسألة العلاقة بين الدال و المدلول أو اللغة بالفكر، فلا وجود للمعنى إلاّ إذا ميّزته اللُغة، حيث أنّ المعنى يتجلى و يتّضح بعلامة يُدرِكها الإنسان، سواء كانت تعبيرًا أو إشارة، ممّا يسمح للغير بمعرفتها و إدراكها.

4. اللغة ودورها في استنباط المقولات الأرسطية:

كان البحث اللغوي الذي قام به "أرسطو"، للحدّ من أغاليط السفسطائيين الأداة الأولى و الضرورية لتأصيل نظرية المقولات، و شرحها و تحليلها. وكما يقول "الفارابي": « و كلّ معنى معقول يدّل عليه لفظه، يوصف به شيء من هذه المشار إليها، فإنّا نسميه مقولة.» (الفارابي، صفحة 62) و قد علّل عن السبب في تسمية المقولات بهذا الاسم، بأنّ- كلّ واحدٍ منها (أي من المقولات)، اجتمع فيه أن كان مدلولًا عليه بلفظ، وكان محمولًا على شيء ما مُشار إليه محسوس، و كان أوّل معقول يَحْصُل، إنّما يَحْصُل معقول محسوس، و كانت أيضًا مُفردة و المُفردة كما نعلم تتقدّم المُركبات- (الفارابي، صفحة 64)، و منه يبدو أنّ البحث في علاقة

اللفظ بالمعنى من زاوية منطقية، أدى إلى كشف حقيقة هذه المقولات العامة للفكر. والجدير بالذكر أنّ المقولات الأرسطية لها ما يقابلها من تقسيمات في اللغة، فمثلا الجوهر يقابله الاسم في اللغة، و الكيف تقابله الصفة، والكّم يقابله العدد. و قد أوردها "ابن حزم" على الشكل الآتي: « الجوهر، الكّم، الكيف، الإضافة، المّتى، الأئين، النصبه، الملك، الفاعل، المنفعل». و يواصل "ابن حزم" قائلا: " واعلم أنّ الجوهر وحده. من جملة الأسماء التي ذكرنا. قائم بنفسه وحامل لساترها، و التسعة الباقية محمولات في الجوهر و أعراض له و غير قائمات بأنفسها" (ابن حزم، صفحة 23).

إذن كلّ مقولة من هذه المقولات هي عبارة عن أسماء مفردة، يُعتبر الجوهر موضوعها و مصدر هويتها، و الحامل لكلّ الصّفات الذاتية من جنس و فصل، أمّا بقية الأسماء، فتندرج تحته كأنواع تُحمّل عليه، أو تدخّل كمحمولات تُمثّل أعراض له. و من أهمّ الفصول التي تناولها "أرسطو" في كتاب المقولات، و الدّالة على مساهمة اللغة في استنباط تلك المقولات ما يلي:

أ- الحدود بأنواعها، المتشابهة و المترادفة، و المشتقة.

ب- الأقوال المختلفة، البسيطة منها و المركّبة.

ج- دراسة تمهيدية للترفة بين الأجناس و الأنواع و علاقتها بالمحمولات. (Tricot, -

1950, p. 10)

إنّ التصنيف المنطقي للمقولات عند "أرسطو"، يهتم بالنظر إلى الحقائق اللغوية، فمن بين المقاصد التي تهدف إليها نظرية المقولات، التصنيف للواقع وللأشياء التي ترمز إليها الألفاظ عن تصنيف الألفاظ الدالة في ذاتها، و هذا هو كيفية التصنيف الذي جاء في بداية الفصل الرابع من كتاب المقولات. (نظيف، 1999، صفحة 90، 91)

الحضور اللغوي في التصنيف المنطقي عند أرسطو

أوضح "أرسطو" هذا، حيث يقول في كتاب المقولات أنّ هناك أسماء أشياء مختلفة، و لكّنها تقع تحت اسم واحد عام مشترك بينها، وهذا الاسم العام هو ما يسمّى الجنس، مثل قولنا إنسان و التي تقع أو تندرج تحت كلمة حيوان، فلفظ حيوان هنا هو الجنس، و هناك أسماء أشياء مختلفة في صنفها، متطابقة في التعريف، و متشابهة في الأسماء، تسمّى مترادفات، مثل إنسان و قط، فكلّ منهما حيوان، و كلّ اسم من هذين الاسمين اسم عام أيضا إلا أنّ تعريفاتهما متشابهة فكلّ منهما يعرف بأنّه حيوان، و هناك أيضا أشياء تحصل على أسمائها من أسماء أخرى مع اختلاف في هذه الأشياء، و تسمّى اشتقاق ، مثل "الأصوليين" مشتقّ من لفظ "أصل" أو قاعدة، و الشُّجاع مشتقّ من الشُّجاعة- (Tricot, 1950, p. 15)

من خلال هذا النصّ الأرسطي، يظهرُ الاتصال الوثيق بين المقولات الأرسطية و الجوانب اللغوية التي أراد "أرسطو" تحديدها. و هكذا يبدو لنا من خلال هذا العرض للمقولات الأرسطية، أنّها متعدّدة و مُتنوعة، كما أنّها لا تشترك في جنس واحد، كالواحد و الوجود مثلما هو الحال عند "أفلاطون"، و هذا ما يُعرف بنظرية الأجناس المنفصلة. حيث يرى كثير من مؤرخي الفلسفة- أنّ "أرسطو" عيّن عدد المقولات تجريبيًا، أي أنّه وصل إلى تحديد عددها بتحليل مادي-. (سامي النّشار، د(ط،ت)، صفحة 222)

ما يجدرُ بنا استنباطه كخلاصة لهذا الطرح، هو أنّ صياغة "أرسطو" لنظريته في المقولات، كانت من خلال بحثه في أمور اللغة، فقد قال بالجواهر مقابل الاسم، و الكيف مقابل الصفة، و الكمّ في مقابل العدد، و النمو و الإضافة في مقابل اسم التفضيل، و الأين و المتى في مقابل ظريفي الزمان و المكان، و الفعل و الانفعال والوضع، في مقابل الأفعال المتعدية و اللازمة- (نظيف، 1999، صفحة 96)

فيما يخصّ طبيعة العلاقة بين المحاورات الأفلاطونية و المقولات الأرسطية، فإنّه ما من شك أنّ "أرسطو" أخذ فكرة المقولات من محاورات "أفلاطون"، خاصّة في

محاورة (الفسطائي)، وكذلك في محاورة (كراتيليوس) و هي في اللغة و في (برمينيدس). هناك وردت عن "أفلاطون" مقولات الجوهر، الكم، الكيف، الإضافة، الفعل، الانفعال، و لكن "أفلاطون" لم يشكّلها في نظام، و لم يُحدّد لها عددا معينا كما فعل "أرسطو"، إذ حدّدها في عشر مقولات. و لم يذكر "أرسطو" لماذا العدد عشرة، كما لم يذكر الأساس أو المبدأ الذي جعله يجمعها هكذا أو يشكّلها في نظام يرى بأنّه التصنيف الأساسي للوجود-. (إمام زكرياء، 2001، صفحة 49)

5. خاتمة:

صفوة القول هو أن اللغة في جميع مراحلها و مراتبها خاضعة للمنطق، والمنطق خاضع للعقل، و بالتالي فاللغة خاضعة للعقل، و يمكن إدراك ما توصلنا إليه في تحليلنا للإشكالية في النقاط الآتية:

- ظهور اهتمام اليونان القدماء في معالجتهم للغة انطلاقا في نظرهم إلى الأشياء والبحث فيها نظرة فلسفية، فمعظم معلوماتنا التقليدية عن اللغة يرجع الفضل فيها انطلاقا من مبادئ المنطق و مقولاته، و المُرتبطة أشد الارتباط بالتفكير العقلي الصرف، و هو ما ظهر جليا في أبحاث "الفسطائيين" انطلاقا من تأسيسهم لنظرية "الخطابة" أو البلاغة، فهم أول من أرجع المعاني للألفاظ، كما استطاعوا تطوير فن المناقشة و الجدل بالرغم من ابتعادهم عن قواعد البرهان وهو ما نسميه الانحراف بالمنطق عن مجاله الصحيح و هو "التفكير العقلي" و البرهان الذي اتجه إليه المنطق و أصبح رائده فيما بعد و خاصة عند ظهور ما يُعرف "بالوجستيك" و رغم ذلك يبقى للمدرسة الفسطائية مكانتها في ظهور المنطق.

- كشفت الدراسة عن صحة الاتجاه الذي يقرر الأصل اللغوي "للمقولات" في المنطق خاصة "أرسطو"، حيث أن اللغة هي المصدر الأساسي لبناء نظرية المقولات الأرسطية، و التي هي في جوهرها توافق بين "مقولات المنطق و "مقولات النحو"، إذ تُعدُّ نظرية "المقولات" التي قدّمتها "أرسطو"، تحليلا دقيقا للدلالة الرئيسية لعملية

الحضور اللغوي في التصنيف المنطقي عند أرسطو

اقتران الفعل و الاسم و تُعدُّ هي السبب الرئيسي في اعترافه بالصلة بين الفكر واللغة، كما أثرت في وضعه لمصطلحات منطقية، فعلى سبيل المثال تسمية "الفكر" قولاً مثبتاً أو منفيًا و "الأحكام" جملاً و قضايا.

- توصلنا أيضاً من خلال هذه الدراسة التحليلية للعلاقة بين اللفظ و المعنى عند أرسطو، إلى التأكيد على أنّ الصُّور المنطقيّة والصُّور اللغويّة متشابهة، بل أنّ الفكر الذي يَعْكِسُ معاني المعقولات، واللغة التي تتبَيُّ اللفظ كوعاء لها، شيء واحد. فاللغة بحاجة إلى ضوابط و قواعد منطقية، حتّى تُؤدّي وظيفتها الصحيحة، و المتمثلة أساساً في التواصل والتخاطب. أثبتت هذه العلاقة تلك الدراسات التي أرسى معالمها قديماً، زعماء مدارس البلاغة عند اليونان، و هم "السفسطائيون" و تبني أسسها وقواعدها "سقراط"، في محاوراته التي وصلتنا عن طريق "أفلاطون"، و اكتمل تأصيلها مع "أرسطو" من خلال نظريته في المقولات و مباحثه الجوهرية في منطق التصورات و الحدود، و القضايا و الأحكام، والتي أنتجت لنا أعظم مؤلفين له هما: كتاب "المقولات" أو (قاطيغورياس)، و كتاب "العبارة" أو (باري أرمينياس).

- تقنين "أرسطو" لنظرية التعريف، التي -كما سبق و أن ذكرنا- استمدت مبادئها الأولى من "سقراط"، حيث اعتبر التعريف نوع من أنواع القضايا التي يتساوى فيها الموضوع مع المحمول، و باعتباره يهدف إلى تحديد جوهر الشيء، فالغاية منه حسب "أرسطو" هو ضبط التصورات القائمة على مستوى الذهن. و هذا هو جوهر العلم عنده، أي المعرفة التامة بالحقائق و الماهيات (لا علم إلا بالكليات - كما يقول "أرسطو"-).

- الصياغة الأرسطية "لنظرية المقولات"، مرتبطة أشد الارتباطات بتلك الدراسات التي قام بها أرسطو في مجال اللغة. فكل مقولة لها ما يقابلها في اللغة، "فالجوهر" مثلاً يقابله "الاسم"، و "الأين" و "المتى" في مقابل ظرفي "الزمان" و "المكان" و هكذا دواليك. لعلّ هذا ما يؤكّد لنا الطابع اللغوي في المنطق الأرسطي. كما يجدر بنا من

خلال دراستنا هذه، أنّ نوّكد أنّ هناك ارتباط وثيق بين المقولات الأفلاطونية الواردة في العديد من مُحاوراته و نَحْصُ بالذِكر هنا " محاوره السفسطائي " و "كراتيلوس" و "برمينيدس"، و بيّن المقولات الأرسطية، إلاّ أنّ "أفلاطون" لم يَقم بتحديد عددها، كما لم يُشكّل نظام لها، عكس "أرسطو" الذي حدّدتها في عشرة مقولات، منها الذاتية و العَرَضِيّة، و هي عنده تُمثّل جميع أنواع الوجود. فإذا ما تساءلنا عن أي شيء، فلا بُدّ أن يَقع الجواب تحت واحد من هذه المقولات الأرسطية.

- اللغة لا تنتظم و لا تُؤدّي وظيفتها عند "أرسطو"، إلاّ من خلال تركيب لغوي يساعِد في تنظيم الألفاظ في عبارات وجمَل، تعبّر بِصدق عن معاني لها مغزى. و منه نَجْزِم بأنّ الأزمة التي كانت تعيشها اللغة (اليونانية خاصّة)، على مستوى البنية التركيبية (أزمة التععيد النحوي خاصّة)، هو أبرز العوامل التي مهّدت لبروز علاقة اللغة بالمنطق، و بالذات اللفظ بالمعنى عند "أرسطو". و هذا ما لمسناه في موسوعته المنطقية، الموسومة بـ "الأورغانون"، و التي خصّ بها هذه العلاقة في كتابي "المقولات" و العبارة. فمهمّة "أرسطو" الأولى، و في اعتقادنا كانت تتمثل في التأسيس المنطقي للغة، وهذا من خلال ضبط التصورات و الحدود (الألفاظ)، وصياغة الأحكام والقضايا، في صورة عبارات خالية من التناقض و الطرح الميتافيزيقي القابل للتأويل، و إعطاؤها بعدا منطقيا مضبوطا و محدّدا.

Bibliographie

- Boutroux, E. (1897). *ÉTUDE D'HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE*. PARIS, France..
- Tricot, J. (1950). *Jules tricot, "Aristote organon", - I- catégories*. (n. t. étrottes, Trad.) Paris, France: librairie philosophique, j- vérin.

▪ قائمة المراجع:

- أبو الوليد ابن رشد. (1978). تلخيص كتاب أرسطوطاليس في العبارة، تحقق: محمد سليم سالم، ص ص 12، 13. القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة.
- أبو ريتان م. ع. (1976). تاريخ الفكر الفلسفي، جز2، أرسطو و المدارس المتأخرة، بيروت: دار النهضة العربية.
- أبو نصر الفارابي. (د،ط،ت)). كتاب الحروف. بيروت، لبنان: دار المشرق.
- الأندلسي ابن حزم. (د،ط،ت)). التقريب لحد المنطق و المدخل إليه (الإصدار ص، 23). بيروت، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.
- الجرجاني م. ا. (2006). التعريفات. (éd. ط). (01الدار البيضاء، المغرب: مؤسسة الحسن).
- ألكسندرا غيتمانوفا. (1989). علم المنطق. موسكو: دار التقدم.
- بشير إمام زكرياء. (2001). أساسيات علم المنطق، دار روائع مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2001. (الإصدار ط 01). عمان، الأردن: دار روائع مجدلاوي.
- بغورة زاوي و. أ. (2001). الزواوي بغورة، أرسطو في الفلسفة العربية الإسلامية، جز1، جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2001، (éd. ط). (01 قسنطينة: جامعة منتوري).
- جميل رص. (1994). المعجم الفلسفي. (éd. ط). Vol. 04، ج. (02بيروت، لبنان: الشركة العالمية للكتاب).
- علي سامي النشار. (د،ط،ت)). المنطق الصوري من أرسطو حتى عصورنا الحاضرة. القاهرة، مصر: دار المعارف.
- كمال يوسف الحاج. (1967). في فلسفة اللغة. بيروت، لبنان: دار النهار.
- محمد علي أبو ريتان. (1976). تاريخ الفكر الفلسفي، جز2، أرسطو و المدارس المتأخرة. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.

- محمد علي ماهر عبدالقادر. (دط،ت)). المنطق و مناهج البحث. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- محمد مدحت نظيف. (1999). الأسس الميتافيزيقية لنظريات أرسطو المنطقية (الإصدار ط 01). الإسكندرية، مصر: دار الوفاء.
- مهدي فضل الله. (1990). مدخل إلى علم المنطق. لبنان، لبنان: دار الطليعة.